الأهرام

المصدر: الحياه

التاريخ : ٢٢ فبراير ٢٠٠٣

المنتدى الاجتماعي الثالث محطة في مأسسة مناهضة العولمة

□ «يوم الملايين» كان الاستجابة الأولى للدعوة التي أطلقت في المنتدى الاجتماعي الثالث في بورتو أليغري، ضد الحرب، وقد فاقت تظاهرات ١٥ شباط (فبراير) الجاري في مدن العالم التوقعات، وكذبت الأفكار القائلة إن مناهضي العولمة بضعة محرضين وأن حركتهم مجرد موضة.
هنا تحقيق عن المنتدى الذي عقد في بورتو اليغري في الفترة بين ٢٣ و٢٨ الشهر الماضي.

لـ بورتو اليغري (البرازيل) – بيسان طي

■ سألت سيدة أرجنتينية الرئيس البرازيلي لويس ايناسيو لولا دا سيلفا خلال استقباله ممثلي اللجنة الدولية المنظمة للمنتدى الاجتماعي العالمي: «لماذا لا توقف الحرب على العراق؟ ولماذا لا تمنع الدول الفقيرة من دفع ديونها الخارجية؟ ولماذا لا تحول دون قيام منظمة التبادل التجاري الحر بين الأميركتين؟»، فأجابها بهدوء: «لو انني أستطيع القيام بكل ذلك لما ترشحت لرئاسة البرازيل بل لأكون إنساناً خارقاً». لا تكفي هذه المقولة لتسليط الضوء على ذكاء لولا (كما يحلو للبرازيليين تسميته) وتواضعه وواقعيته، إنما تعتبر تلخيصاً لآراء تيارين في إطار الحركة المناهضة للعولمة: تيار «راديكالي» يقدس الأفكار والقضايا الإنسانية، وآخر «عقلاني» (أو «إصلاحي» كما يسميه البعض)، يأخذ في الاعتبار السياسة الدولية، لكنه لا يتخلى أبداً عن القضايا التي يناضل من أجلها. والعناوين التي تجمع التيارين أكثر من أن تحصى وأعمق من أي تصنيف قد يفرقهما، أهمها على الإطلاق إيمانهما بضرورة النضال من أجل «عولمة إنسانية» لأن «عالماً آخر ممكن».

الحركة المناهضة للعولمة ليست فقط هذين التيارين الرئيسين، إنما هي نجحت منذ انطلاقتها باستيعاب مجموعة من التيارات والحركات، من اليساريين القدامى إلى الكاثوليكيين، ومن الفوضويين إلى نشطاء البيئة، وتيارات كثيرة، يغلب عليها طابع يساري بات يعرف بيسار جديد. والجدير ذكره أن التيار الإسلامي- بكل مركباته – يغيب عن خريطة مناهضي العولمة على رغم معارضته الولايات المتحدة، ويصعب في رأي المحللين أن يجد هؤلاء الإسلاميون مكاناً لهم في هذا التيار الذي يرفض أي شكل من أشكال التطرف.

أكثر من مئة ألف مشارك من ١٥٦ دولة، و٢٠٧٦٣ مندوباً لـ٥٧١٥ جمعية حضروا المنتدى، وكانوا يشعرون (هذا العام تحديدا) أنهم «في ديارهم». فرئيس البرازيل من ابرز مساندي المنتدى منذ تاسيسه قبل عامين، وبورتو أليغري بالذات اعتادت استضافتهم. المدينة التي تعد الأكبر في جنوب البرازيل، هي عاصمة إقليم ريو غراندي دي سول، سكانها مليون ونصف المليون نسمة، وقد أسست عام ١٧٤٢، وكثرت الهجرة الأوروبية إليها في القرن التاسع عشر.

أكثر من ١٢٠ ألف زائر احدثوا ضجيجاً كبيراً في العالم من دون أن يكسروا هدوء المدينة الممتدة على مساحة ٥٠٨.٦ كيلومترات مربعة، وتحتل المساحات الخضر أكثر من نصفها.

مأسسة الاعتراض

العام الماضي دعت اللجنة المنظمة إلى إقامة منتديات إقليمية في العالم من أجل نقل المنتدى من صيغة الاحتفال إلى العمل السياسي. هذا العام كرست الدعوة، وتمت في بعض الورشات دراسة وعرض تجارب المنتديات الإقليمية والظروف التي سيطرت عليها ونتائجها، وكانت الدعوة إلى إقامة منتديات حول مواضيع معينة. وتوزع خلال المنتدى باحثون متخصصون في ٢٠ ورشة عمل. ورافقت المنتدى في بورتو اليغري نفسها منتديات أخرى كالمنتدى العالمي للبرلمانيين والمنتدى العالمي التربوي. وهذه تهدف في شكل رئيس إلى ربط الحركات الاجتماعية والمجتمعات المدنية بحركة هذا التيار، انطلاقاً من فكرة مؤداها أن للعملية التربوية دوراً رئيساً في مناهضة السياسات العالمية. «تربية الفرد ليكون مواطناً فاعلاً، صاحب نظرة نقدية تجاه ما يحصل في العالم الذي يسيطر على مشروع واحد نيوليبرالي». وفي هذا الإطار كانت فكرة «مدرسة المواطنية» من الاقتراحات العملية، مدرسة تنشئها الدولة وتعمل برقابة المجتمع، وتقوم مناهجها على تدريس التنوع الثقافي والتفاعل، إضافة إلى مطالب تربوية، أبرزها تأمين التعليم للجميع على ان يكون ذا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

أعلام وشعارات في بورتو أليغري.

بعد اجتماعي ومستوى جيد، وتأمين البنية التحتية للتربية التكنولوجية في إطار عملية التعليم.

المنتدى الاجتماعي كان أيضاً فسحة للتذكير بأن قضايا العالم أكثر من أن تحصى، فمن المشاهد التي كانت تتكرر يومياً رؤية لافتات متنوعة تتزاحم عند درج «المبنى ٤٠» من الجامعة الكاثوليكية، وأعلام دول ومنظمات: من فلسطين والعراق والأرجنتين، ومنظمات مساندة للمرأة وأخرى من أجل حقوق الأقليات، وثالثة للدفاع عن الحريات الإعلامية وحق كل فرد في الغذاء والدواء، ورابعة، وخامسة....، وأعداد لا تحصى من المطالب يشعر المرء وهو يتابعها بنوع من الياس والعجز والحزن والقهر. عالمنا يتخبط بالمشكلات بصورة تفوق قدرة المرء على الاستيعاب، والمسبب في رأي المشاركين في المنتدى واحد، إنه بوش (رئيس الولايات المتحدة) ومعه كل من سبقه إلى إرساء السياسة النيوليبرالية، ومعه أيضاً أرباب الشركات المتعددة الجنسية المهيمنة على مقدرات الشعوب. لذا كان إعلان المنتدى «الحرب على الحرب» رفضاً لكل الحجج الأميركية للحرب على العراق. وفي إحدى ورشات العمل حول سياسات الشركات العابرة للقارات وهيمنتها لفت محاضرون إلى غياب أي نص قانوني دولي يسمح بتقصي الحقائق حول ما ترتكبه هذه الشركات من انتهاكات لحقوق الإنسان. غياب هذا النص لا يتماشى مع اتساع نفوذ هذه الشركات عالمياً.

الأساليب المعتمدة في التجارة العالمية تنتهك أيضاً حقوق الإنسان، والمحاضرات في بورتو اليغري سمحت بالاطلاع بالوثائق والأرقام على مدى اتساع الهوة الاقتصادية بين الدول الغنية والدول الفقيرة، وإلى اختلال مبدأ المساواة بين البشر في ما يتعلق بمستوى الدخل والخدمات الحياتية البسيطة، وكانت الدعوة إلى ضرورة الابتعاد عن اعتبار التجارة هدفاً بذاتها، إذ يجب أن تكون وسيلة.

تيارات وقوى

المشاركة في المنتدى الاجتماعي الثالث فرصة للتعرف إلى مركبات التيار المناهض للعولمة وعناصره، عن قرب تصبح القراءة فيه أسهل، وتصير الإجابة عن بعض الأسئلة مفهومة. فهو تيار بدأ منذ العام الماضي - تحديداً منذ المنتدى العالمي الثاني في بورتو اليغري - يعرف طريقه إلى المأسسة، لم يعد المنتمون إليه - في عدد من الدول - مجرد معترضين على سياسات العولمة وحكومتهم، وبمعنى أدق انتقل هؤلاء الذين ملأوا شوارع سياتل وجنوى ونيس وغيرها، من فعل الرفض إلى طرح رؤى وبدائل، لم يغب الاعتراض بالطبع، بل ازداد دعمه بالأرقام والدراسات، وحفل المنتدى بدراسات في مواضيع سياسية وتنموية مختلفة (أقيم في إطاره نحو ١٧٠٠ محاضرة وندوة وورشة عمل). وعلى رغم تعدد المواضيع والقضايا فإن ثمة شعوراً كان يدل إلى أن الأوروبيين (إضافة إلى البرازيليين) هم الأكثر حضوراً. وفي حين وصل عدد أعضاء الوفد الأميركي إلى ١٨٠٠، فإن الفرنسيين والإيطاليين في شكل خاص كانوا الأكثر فاعلية، فهؤلاء صاروا أصحاب تقاليد أكثر رسوخاً في مناهضة العولمة، وحضورهم في بلادهم أكثر تأثيراً، وهم الأكثر راديكالية بين عناصر التيار المناهض للعولمة، ممثلوهم في اللجنة الدولية المنظمة للمنتدى كانوا أكثر تشدداً في رفض الطلب الذي تقدم به منذ شهور الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان لحضور المؤتمر، بعض الأعضاء الآخرين لم يكونوا ليمانعوا حضوره لأنهم لا يرفضون الحوار مع المنظمات الدولية الكبرى، لكن رأي «الراديكاليين» انتصر، وفي هذا الإطار أوضح كريستوف أغيتون مسؤول العلاقات الخارجية في منظمة «أتاك» لـ«الحياة» أن رفض حضور

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الرئيس البرازيلي لولا يلقي كلمته في الحضور.

أنان لا يعني رفض الحوار معه أو مع منظمة الأمم المتحدة على رغم الملاحظات حول سياستها، لكنه جاء على خلفية التخوف من أن تصدر هذه المنظمة بعد أيام قليلة قراراً يجيز الحرب الأميركية على العراق. وتقديراً لمشاعر العالم العربي أو تشديداً على الالتزام بقضيته رفضت اللجنة حضور الأمين العام للمنظمة أو تحضير استقبال رسمي له.

نجح الأوروبيون في تغليب رأيهم في أكثر من موضوع، فكان خيار غالبيتهم (مع أعضاء آخرين) نقل المنتدى إلى الهند العام المقبل، وكان عدد من أعضاء اللجنة يرى أن بورتو اليغري لا تزال المكان الأنسب لاستقباله، انطلاقاً من دراسة الظروف التي رافقت المنتدى الاجتماعي الآسيوي في الهند قبل شهور، والذي لم يلق نجاحاً كبيراً، على خلاف نظيره الأوروبي في فلورنسا. وتخوف البعض من سيطرة التيار الراديكالي على المنتدى العام المقبل.

يلفت هذا الأمر إلى ملاحظتين، الأولى راديكالية الأقل تضرراً من العولمة، والثانية مستقبل التيار المناهض لها. فأبناء أوروبا

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

عليه، بل كانت هذه الجملة تتردد في غالبية الورشات مهما كانت عناوينها، وكانت أعلام فلسطين الأكثر عدداً في كل مراكز المنتدى، وإدانة الاعتداءات الإسرائيلية تمت على غير صعيد. في هذا الإطار يجدر التوقف عند بعض الملاحظات حول التعاطي الفلسطيني. فحضور الجالية الفلسطينية في البرازيل ومشاركتها الفاعلة ساعدا في تنظيم النشاطات المؤيدة للفلسطينيين، لكن حواراً قام على أسس خاطئة وفي العلن مع إسرائيليين يدّعون تأييد السلام من دون أن يدينوا سياسات الاستيطان والاعتداءات أساء إلى صورة الفلسطينيين. كان النائب زياد ابو زياد يتحدث عن النموذج الديموقراطي الإسرائيلي في ندوة أثارت اشمئزاز مشاركين فلسطينيين من دون أن يتحدث بالتفصيل عن آثار الاعتداءات الإسرائيلية على مواطنيه، فيما الإسرائيلي اليساري ميشال برشافسكي يقول في قاعة مجاورة وأمام المئات إن ما يعرف باليسار الإسرائيلي ليس يسارياً أبداً، وأن الإسرائيليين دمروا كل حقوق الفلسطينيين، وأنهم اعتبروا الفلسطينيين شعباً إرهابياً ليبرروا لأنفسهم كل الانتهاكات والاعتداءات التي يرتكبونها ضدهم. فلسطينيون لا يتعدون أصابع اليد الواحدة أساؤوا الى كل الجهود التي بذلت لإظهار قضيتهم، فأثاروا غضب مواطنيهم، وأظهروا الإسرائيليين كمحبين للسلام، فيما كان برشافسكي يفند أمام مستمعيه حيل من يسمون أنفسهم بمحبي السلام في إسرائيل، مؤكداً ان ما يدعونه مجرد كذبة.

من جهة أخرى، تجدر الإشارة إلى أن العرب في المنتدى شاركوا في محاضرات ونظموا من جهتهم نشاطات، كورشات عمل الشبكة العربية للجمعيات غير الحكومية عن الحركات الاجتماعية في العالم العربي، وعن حقوق المرأة.

معركة الإعلام

سيطر شعور على المشاركين في بورتو اليغري بانهم حققوا نجاحاً كبيراً. نحن أبناء العالم الثالث - والدول العربية تحديداً - لم نفهم مصدر هذا الشعور. فبالنسبة إلينا لا يمكن أي تجمع - مهما اتسع حجمه- أن يعتبر نجاحاً لمعارضة ما، ولا نفهم كيف يمكن بعض التقارير والمحاضرات وورشات العمل والاحتفالات أن تغير وجهاً من وجوه العالم. لكن أبناء المجتمعات الديموقراطية يرون في هذه الوسائل سبلاً صحية للتغيير، لذلك كان شعورهم بالانتصار بارزاً. وشرح كريستوف آغيتون مسؤول العلاقات الخارجية في منظمة «أتاك» العالمية لـ«الحياة» التقدم الذي حققه المنتدى في عامه الثالث، إذ صار أكثر «عالمية» فزادت نسبة المشاركين من دول آسيا وأميركا الشمالية، وكان الحضور الأوروبي والأميركي اللاتيني طاغياً بحدة في الدورتين الأولى والثانية. وظهر في هذه الدورة إتفاق كامل على عناوين «مصيرية» أهمها رفض الحرب على العراق . ونفى آغيتون أن يكون الأوروبيون أكثر راديكالية من المشاركين الآخرين، لكنه اعترف بأنهم أكثر تنظيماً وأن شبكتهم أكثر قوة. وذكّر بأن «الجدل الرئيس الذي طرح في الدورة الأولى من المنتدى كان: هل نتحاور مع المنتدى الاقتصادي العالمي؟ في هذه الدورة تجاوزنا دافوس، إذ أن أربابها أنفسهم بدأوا يشعرون بالقلق، جورج سوروس أعلن أن الأمور في العالم لم تعد تسير على ما يرام».

وإذا انتقل منتدى دافوس إلى الصفوف الثانوية، فإن هذا الأمر لا يعني أن السياسات الليبرالية هزمت. آغيتون قال: «لا نتوهم أن العولمة بصيغتها الحالية والظالمة انتهت، ولا نعتقد أن الولايات المتحدة الأميركية لم تعد قوية، ونعرف أن أمامنا الكثير من العمل والنضال». ولكنه لفت من جهة أخرى إلى أن تحالفاً بين الحركات الاجتماعية في العالم آخذ في الترسخ.

الشعور بالانتصار في بورتو اليغري يعود أيضاً إلى عامل آخر، وهو العامل الإعلامي، ٤٠٤٩ صحافياً حضروا المنتدى، أي أنه كان الحدث العالمي الذي حظي باكبر تغطية إعلامية، وكان بعض المؤسسات الإعلامية المؤيد للسياسات الأميركية يقدم أحياناً الخبر المتعلق بمنتدى بورتو اليغري قبل الخبر المُعد عن دافوس.

الفرح الأكبر كان في مخيم الشباب، الاف كانوا فيه، غالبيتم من الطلاب الجامعيين، بالنسبة الى هؤلاء لا بديل من الرؤية التي يطرحونها. سياسات الولايات المتحدة ستهزم حتماً، في أمد قريب جداً أو متوسط لا يهم، لتسيطر سياسة المساواة والتعددية والفرح الدائم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الغربية تحديداً يعيشون حياة اكثر رفاهية من أبناء الدول الأخرى، وتضررهم من السياسة الأميركية والشركات المتعددة الجنسية اقل، فيما تبدو المنظمات في دول العالم الثالث اقل تشدداً، في أميركا اللاتينية حيث الحركة الاجتماعية نشطة وفي العالم العربي حيث هي شبه غائبة. في الظروف الحالية يشعر المرء أن الأوروبيين هم الذين يؤثرون اكثر من غيرهم في هذا التيار، تساعدهم قدرتهم على المبادرة وعملهم المنظم على اتخاذ دور قيادي نوعاً ما - من دون أن يلغي هذا الأمر وجود آخرين - والأمثلة على ديناميكيتهم كثيرة، أبرزها المنتدى الأوروبي في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي الذي اختتم بتظاهرة شارك فيها مليون شخص. والسؤال المتجدد حول مدى مشاركة الأحزاب السياسية في هذا التيار، أعادت طرحه منظمات عدة، والإيطاليون في شكل خاص متحمسون جداً لهذا النقاش.

هذه القراءة لا تنفي الطابع الأميركي اللاتيني الذي أسبغ على المنتدى من خلال فرحهم الدائم، واحتفائهم بالتظاهرات، هكذا هم البرازيليون شعب الفرح الدائم، كانت المحاضرات تقام في قاعات الجامعة الكاثوليكية ومجمع «جيغانتشينو»، والفرق تعزف وتغني وترقص في ساحاتهما، وفي الزواريب التي تفصل بين مباني الجامعة وكلياتها، إذاً هو ليس اجتماعاً للحزن بل لتاكيد إرادة الحياة، وكانت الأغاني تتنوع في لغاتها، وفي شعاراتها، وفي ملابس مؤديها والراقصين الذين يتمايلون على أنغامها. التنوع إذاً خيار حقيقي وممكن.

البرازيليون - الأكثر عدداً على الإطلاق في المنتدى - عرفوا كيف يسلطون الضوء على مشكلات أميركا اللاتينية، ويكفي ما قال الرئيس «لولا»: «أريد أن يتناول كل برازيلي ثلاث وجبات يومياً». فهو ذكر العالم بأسره - ومن خلال بورتو اليغري - بمأساة الفقراء في بلاده.

الحضور العربي

العام الماضي كانت الأرجنتين وفلسطين قضيتي العالم الرئيستين كما طرحتا في بورتو اليغري، هذا العام كانت العناوين عربية بامتياز، فكانت فلسطين وكان العراق. فلسطين الحاضرة دائماً قضية كل الثائرين في العالم ضد الظلم والاستبداد، وكل الحالمين بالمساواة بين البشر. والحرب على العراق هي الأسلوب الجديد لمد سيطرة الولايات المتحدة على العالم.

١٥ شباط (فبراير) كان الموعد للتأكد من شعبية العناوين التي اختارها مناهضو العولمة، والقضايا التي يريدون الدفاع عنها. ففي السنوات الأولى لولادة هذا التيار نظر اليه كمجرد فقاعة ستنتهي بسرعة، لكن محطات كثيرة تبرهن انه يتابع امتداده ويستجيب لآمال كثيرين لا يرون في النموذج الأميركي النيوليبرالي السياسة المثلى، وغالبية هؤلاء تذهب بعيداً في العداء. ويساعد هذا الأمر على حشد التأييد للقضايا العربية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية